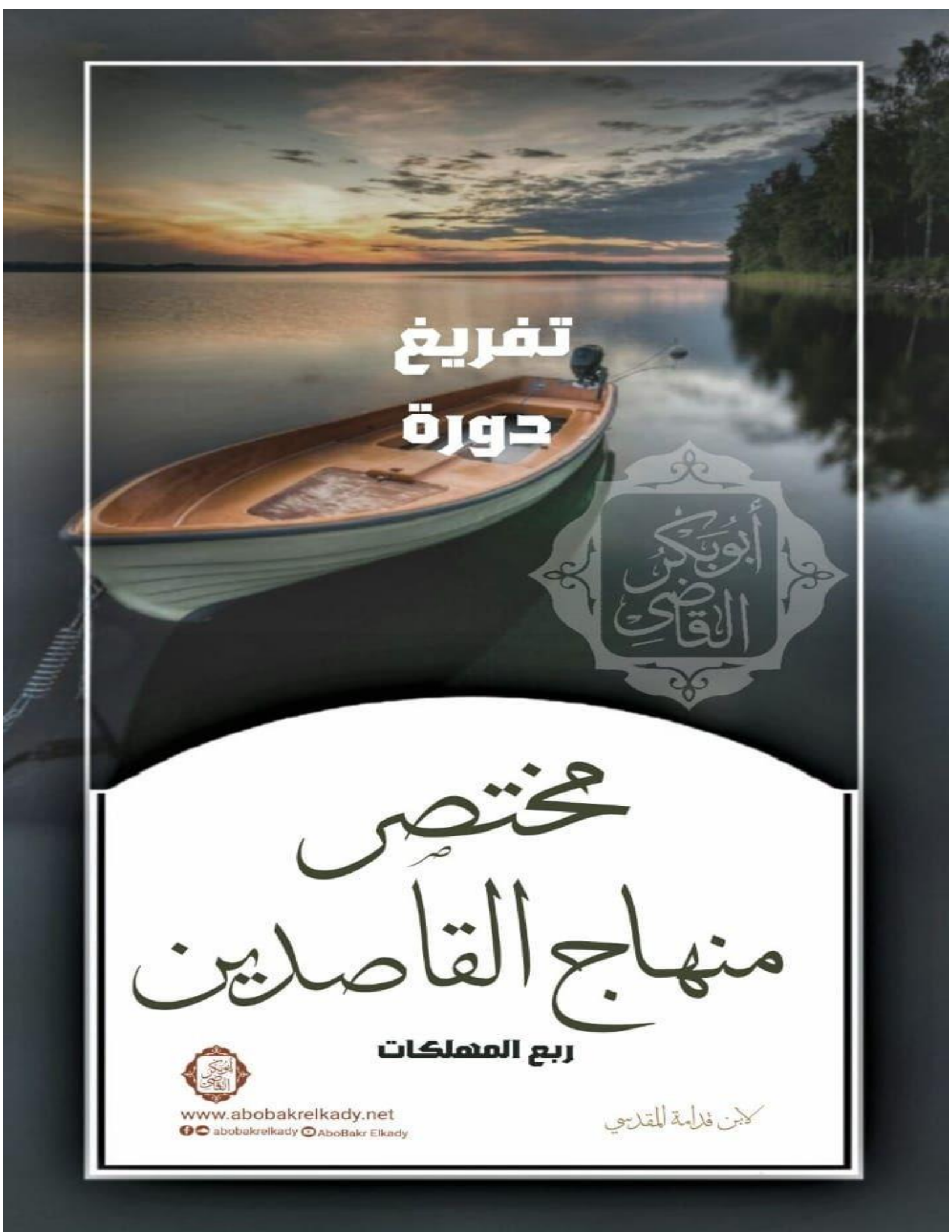

تفريغ دورة

# مختصر منهاج القاصدين

## ربع المهلكات

www.abobakrelkady.net

abobakrelkady AboBakr Elkady

لابن قدامة المقدسي

# المحاضرة الخامسة عشر

السلام عليكم ورحمة الله

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه وسلم ثم أما بعد:

لا زلنا مع كتاب" مختصر منهاج القاصدين " لابن قدامة- رحمه الله تعالى- ولا نزال في كتاب المهلكات.

قال : [كتاب الغرور وأقسامه ودرجاته]

ومن الناس من غرته الدنيا، فقال: النقد خير من النسيئة، والدنيا نقد، والآخرة نسيئة، وهذا محل التلبيس.

"النقد " الذي هو الشيء الكاش أفضل من التقسيط، والدنيا كاش، والآخرة تقسيط أو بالآجل" وهذا محل التلبيس؛ فإن النقد لا يكون خيراً من النسيئة،إلا إذا كان مثل السيئة ( السلعة نفسها ) ، ومعلوم أن عمر الإنسان بالإضافة إلى مدة الآخرة ليس بجزء من ألف الف جزء إلى أن ينقطع النفس؛ وإنما أراد من قال: النقد خير من النسيئة، إذا كانت النسيئة مثل النقد، وهذا غرور الكفار.

طبعا هو ما فيش مقارنة أصلاً بين الدنيا والآخرة كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم- ما الدُّنيا في الآخرةِ إلّا كما يجعَلُ أحدُكم أصبعَه في اليمِّ فلينظر بمَ يرجِعُ " رواه مسلم"

وقال صلى الله عليه وسلم : لو وُزِنت الدُّنيا عند اللهِ جناحَ بعوضةٍ، ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ.

وقال صلى الله عليه وسلم :الدُّنْيا مَلعونةٌ وما فيها إلا ذِكْرُ اللَّهِ أو عالِمٌ أو متعلِّمٌ "أخرجه الترمذي"

قال: فأما ملبس المعاصي مع سلامة عقائدهم، فإنهم قد شاركوا الكفار في هذا الغرور؛ لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة، إلا أن أمرهم أسهل من أمر الكفار، من جهة أن أصل الإيمان يمنعهم من عقاب الأبد؛ فإن الكفرة يحبسهم القرآن في النار لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء 116]

قال : ومن العصاة من يغتر، فيقول: إن الله كريم؛ وإنما نتكل على عفوه،وربما اغتروا بصلاح آبائهم، وكل هذا لا يغني عنهم شيء

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]

وقد قال العلماء: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا الغفران مع الاصرار؛ فهو مغرور، وحديث كنت أظن أنه موقوفاً إلي أن قرأت بفضل الله- عز وجل- رفعه محسناً في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها" حديث حسن في الترمذي"

إذن الأمر مرتبط بالعمل، وليس بالكلام، وليس بكثرة الأماني؛ فهذا درب من الغرور.

قال : وليعلم أن الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب، وقد قضى بتخليد الكفار في النار، مع أنه لا يضره كفرهم،وقد سلط الأمراض،والمحن على خلق من عباده في الدنيا، وهو سبحانه قادر على إزالتها،ثم خوفنا من عقابه،فكيف لا نخاف؟!

فالخوف والرجاء سائقان يبعثان على العمل، وما لا يبعث على العمل؛ فهو غرور.

يوضح هذا أن رجاء أكثر الخلق يحملهم على البطالة، وإيثار المعاصي، والعجب أن القرن الأول عملوا وخافوا،ثم أهل هذا الزمان أمنوا مع التقصير واطمأنوا، أتراهم عرفوا من كرم الله تعالى ما لم يعرفه الأنبياء والصالحين! .

ما نحن في الحقيقة إلا مغرورون لو كان عندنا هذا العلم النافع لأورثنا العمل الصالح والخوف، والحذر، والورع .

قال :ولو كان هذا الأمر يدرك بالمنى، فلم تعب أولئك وكثر بكاؤهم؟!

وهل ذم أهل الكتاب بقوله: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} [الأعراف: ١٦٩]، إلا لمثل هذا الحال؟!

وأما من اغتر بصلاح آبائه، فهلا يذكر قصة نوح -عليه السلام- مع ابنه، وإبراهيم- عليه السلام- مع أبيه، ومحمد مع عمه- صلى الله عليه وآله وسلم- وعلى سائر النبيين، ويقرب من هذا الغرور -غرور أقوام لهم طاعات ومعاصي، إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يظنون أن حسناتهم ترجح؛ فترى الواحد منهم يتصدق بدرهم، ويكون قد تناول من الغصب أضعاف ذلك، ولعل الذي تصدق به من المغصوب، ويتكل على تلك الصدقة، وما هو إلا كمن وضع درهماً في كفه وألفاً في أخرى، ثم رجا أن يرجح الدرهم بآلف .

مغرور! يكفي الإصرار على المعصية حتى لو كنت تعمل طاعات .

قال : ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه، وسبب ذلك؛ أنه يحفظ عدد حسناته، ولا يحاسب نفسه على سيئاته، ولا يتفقد ذنوبه، كالذي يستغفر الله، ويسبحه مائة مرة في اليوم ثم يظل طول النهار يغتاب المسلمين، ويتكلم بما لا يُرضى؛ فهو ينظر في فضائل التسبيح والاستغفار، ولا ينظر في عقوبة الغيبة والكلام المنهي عنه؛ لذلك أفضل الطاعات ترك المعاصي، والانتهاء عن المعاصي، والتعفف عن ذلك.

قال : ١ . فصل [الاغترار واقع بالعلماء والعباد]

ويقع الاغترار في الأغلب في حق أربعة أصناف: العلماء، والعباد، والمتصوفة، والأغنياء.

لصنف الأول: العلماء

فأما أهل العلم، فالمغترون منهم فرق:

▪منهم فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية، وأهملوا تفقد الجوارح، وحفظها عن المعاصي، وإلزامهم الطاعات، واغتروا بعلمهم، وظنوا أنهم من الله بمكان، ولو نظر هؤلاء بعين البصيرة، علموا أن علم المعاملة لا يراد به إلا العمل، ولولا العمل لم يكن له قدر.

قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: ٩]

ولم يقل: قد أفلح من تعلم كيف يزكيها؛ فإن تلا عليه الشيطان فضائل أهل العلم، فليذكر ما ورد في العالم الفاجر، كقوله تعالى:

{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} [الأعراف: ١٧٦]،

و {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]

▪ومنهم فرقة أخرى أحكموا العلم والعمل الظاهر، ولم يتفقدوا قلوبهم؛ ليمحوا الصفات المذمومة منها كالكبر، والحسد، والرياء، وطلب العلو، وطلب الشهوة؛ فهؤلاء زينوا ظاهرهم، وأهملوا بواطنهم، ونسوا قوله- صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"

فتعاهدوا الأعمال، ولم يتعاهدوا القلوب، والقلب هو الأصل، إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.

قوم اتقنوا العلم، وتركوا العمل، وقوم أحكموا العلم والعمل الظاهر، وتركوا العمل الباطن .

قال : ومثال هؤلاء كمثل رجل زرع زرعاً، فنبت ونبت معه حشيش يفسده، فأمر بقلعه، فأخذ يجز رؤوسه وأطرافه ويترك أصوله، فلم تزل أصوله تقوى.

▪وفرقة أخرى علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة، إلا أنهم بعجبهم بأنفسهم يظنون؛ أنهم منفكون عنها، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك؛ وإنما يبتلى بذلك العوام دون من بلغ مبلغهم من العلم

"أزمة كبيرة جدا النظر إلى العلم أنه مجرد معلومات دون التطبيق "

فإذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياء والرياسة قال أحدهم: ما هذا بكبر؛ وإنما هو طلب عز الدين، وإظهار شرف العلم، وإرغام المبتدعين؛ فإني لو لبست الدون من الثياب، وجلست في الدون من المجالس، شمت بى أعداء الدين، وفرحوا بذلى، وفى ذلي ذل الإسلام، وينسى الغرور، وأن إبليس هو الذي سول لهم هذا، وهذه إشكالية كبيرة أن تظن نفسك الدين أو تظن نفسك أنك أنت الدين وتمثله.

قال : بدليل أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه كانوا يتواضعون، ويؤثرون الفقر والمسكنة،وهم الشيخة، وهم الولاية، وهم الكرامات، وهم الدعوة المستجابة، وهم أننا لا نحتاج إلى أن نزكي أنفسنا ولا إلى الوعظ،ولا إلى أوراد، ومحاسبة، ومراقبة أعمالنا، وقلوبنا، وهم كبير قوي عشنا فيه، وأما إننا نمثل الدين وأن غيرنا لا يمثل الدين، وأننا أولى بالدين من غيرنا إلى غير ذلك من أمور الغرور والعجب .

قال : وقد روينا عن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- أنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع خفيه وأمسكهما، وخاض الماء، ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم

صنعاً عظيماً عند أهل الأرض، فصك في صدره وقال: أوه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدةإنكم كنتمأذل الناس وأحقر الناس، فأعزكم الله برسوله، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله.

وفى رواية عنه: لما قدم الشام، استقبله الناس وهو على بعيره فقيل له: لو ركبت برذوناً تلقى به عظماء الناس ووجوههم؟

فقال عمر رضى الله عنه: لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا -وأشار بيده إلى السماء- خلوا سبيل جملي، ثم العجب من مغرور يطلب عز الدنيا بالثياب الرفيعة، والخيول الفارهة ونحو ذلك، وإذا خطر له خاطر الرياء قال: إنما غرضي بهذا إظهار العلم والعمل، لاقتداء الناس بى ليهتدوا إلى الدين، ولو كان هذا قصده لفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به؛ لأن من كان قصده صلاح الخلق يفرح بصلاحهم على يد من كان، وكذلك من يدخل منهم على سلطان، ويتودد إليه، ويثنى عليه، ويتواضع له ويقول: إنما غرضي بهذا أن أشفع في مسلم او ادفع عنه الضرر، والله يعلم؛ أنه لو أظهره لبعض أقرانه قبول عند السلطان لثقل عليه.

طبعا مسألة الأقران دي مسألة من المعايير التي يقيس بها الإنسان سلامة قلبه وهل هو يرجو للمسلمين الخير، وهل قلبه سليم من الحقد، والغل، والحسد وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الظهور أم لا ؟

قال :وقد ينتهي غرور بعضهم؛ أنه يأخذ من مالهم الحرام ويقول: هذا مال لا ملك له، وهو لمصالح المسلمين، وأنت إمام من أئمتهم، فيغير بهذا التلبيس من جهة نظره إلى نفسه، وربما كان دجالاً من الدجالين، و من جهة قوله: هذا مال لا ملك له، وغاية الأمر وقوع الاختلاط في الأموال، وذلك لا يمنع كونهما حراماً، وقد يكون عالماً بمن أخذ منه المال "السلاطين "

▪ قال : وفرقة أخرى أحكموا العلم، وطهروا جوارحهم وزينوها بالطاعات، وتفقدوا قلوبهم بتصفيتها من الرياء والحسد، والكبر ونحو ذلك، ولكن بقيت في زوايا القلب خفايا من مكائد الشيطان، وخدع النفس لم يفطنوا لها وأهملوه؛ فترى أحدهم يسهر ليله، وينصب نهاره في جمع العلوم، وترتيبها، وتحسين ألفاظها، ويرى أن باعثه على ذلك الحرص على إظهار دين الله تعالى، وربما كان الباعث لذلك طلب الذكر وانتشار الصيت، ولعله لا يخلو في تصنيفه من الثناء على نفسه، إما صريحاً بالدعاوى الطويلة العريضة،وإما ضمناً بالطعن في غيره ليبين في طعنه في غيره أنه أفضل من ذلك الغير، وأعظم منه علماً؛ فهذا وأمثاله من خفايا العيوب التي لا يفطن لها إلا الأكياس الأقوياء،ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه، ويحرص على صلاحها .

لا يكون مغرورا، يعني انت ممكن مش قادر تطهر قلبك؛ فترجو الله تدعو، وتتضرع، وتسعى في الطب، والتشخيص، والعلاج، ولكنها تكون مغرورة لا تظن نفسك كاملاً، أو صحيحاً؛ بل دائما منكسر مفتقر إلى الله تبارك وتعالى .

قال : ومن سرته حسنته وساءته سيئته؛ فهو مرجو أمره بخلاف من يزكى نفسه أي: يمدحه.

بخلاف من يزكى نفسه ويظن أنه من خيار الخلق غير التزكية التي أمرنا بها،وهي التطهير، والتخلية، والتحلية والتنمية.

قال : فهذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة، فكيف بالذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم؛ فمنهم من اقتصر على علم الفتاوى في الحكومات،والخصومات، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لصلاح المعايش، وربما ضيعوا الأعمال الظاهرة وارتكبوا بعض المعاصي من الغيبة، والنظر إلى ما لا يحل، والمشي إلى ما لا يجوز،ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد، والرياء، وجميع المهلكات؛ فهؤلاء مغرورون من وجهين:أحدهما من حيث العمل، والآخر من حيث

العلم،ومثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء، واشتغل بتكراره وتعليمه،لا بل مثلهم مثل من به علة البرسام، وهو مشرف على الهلاك، فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة، وجعل يكرر ذلك، وذلك غاية الغرور.

البرسام: التهاب في أغشية الكبد يعني نوع من أنواع الأمراض فاشتغل بتعلم دواء النزيف.

إذن يبقى الأولويات يا جماعة بماذا نبدأ طلبنا للعلم؟

بماذا نبدأ سيرنا إلى الله؟

بعلم المعاملة، وعلم السير إليه- عز وجل- وسير القلب إلى الله -عز وجل- التوحيد الذي يصلح به اعتقادك، والفقه الذي يصلح به عبادتك، ومعاملتك ما يلزمك الان هو الواجب .

قال :وسبب غروره ما سمع في النقل من تعظيم الفقه، ولم يدر أن الفقه هو الفقه عن الله تعالى، ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة، ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى.

وقد قال الله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} الآية [التوبة: ١٢٢].

والذي يحصل له الإنذار غير هذا العلم؛ فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات،وحفظ الأبدان بالأموال،ودفع القتل، والجراحات، والمال في طريق الله تعالى آلة،والبدن مركب؛ وإنما العلم المهم معرفة سلوك الطريق،وقطع عقبات القلب التي هي من الصفات المذموم؛ فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى،ومثال من اقتصر على ذلك، كمثل من اقتصر في سلوك الحج على علم خرز الراوية والخف، ولا شك أنه لابد من ذلك: ولكن ليس من الحج في شئ.

انت تعرف مجرد بس أحكام دون أن تتعلم؛ فأنت سوف تتحايل.

قال : ومن هؤلاء من اقتصر على علم الخلاف، ولم يهمه إلا طريق المجادلة، والإلزام، والإفحام، ودفع الحق لأجل الغلبة؛ فهو أسوأ حالاً ممن ذكر قبلهم، وجميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم

يعرفها السلف، وأما أدلة الأحكام؛ فيشتمل عليها علم المذهب، وهى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما حيل الجدل، من الكسر، والقلب، وفساد الوضع والتركيب،والتعدية؛ فإنما أبدعت لإظهار الغلبة، والإفحام.

▪وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام، والمجادلة في الأهواء، والرد على المخالفين ثم هؤلاء طائفتان: ضالة، ومحقة .

فالضالة التي تدعو إلى غير السنة، والمحقة التي تدعو إلى السنة، والغرور شامل لجميعهم .يعني قد يقع فيه الإثنين .

أما الضالة، فاغترارها ظاهر، وأما المحقة فاغترارها من حيث إنها ظنت أن الجدال أهم الأمور،وأفضل القربات في دين الله تعالى، وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يبحث، وأن من صدق الله ورسوله من غير تحرير دليل، فليس بكامل الإيمان، فلهذا الظن الفاسد قطعوا أعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات، وعميت بصائرهم، فلم يلتفتوا إلى القرن الأول، وأن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- شهد لهم بأنهم خير الخلق؛ وأنهم قد أدركوا كثيراً من البدع والهوى، فلم يجعلوا أعمارهم، ودينهم عرضاً للخصومات، والمجادلات، ولم يشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم، بل لم يتكلموا فيه إلا لضرورة رد الضلال، فإن رأوه مصراً على بدعته هجروه من غير مماراة ولا جدل.

نحن لا نتعلم هذا الأمر نستغرق فيه؛ بل لنرد على المبطلين رأينا منهم استجابة اكملنا دعوتهم؛ فإن رأينا منهم إعراضاًأعرضنا عنهم وهجرناهم

قال تعالى : ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

وقد روى في الحديث: "ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل". حديث حسن رواه الترمذي

▪وفرقة أخرى اشتغلوا بالوعظ، وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب، من الخوف والرجاء، والصبر، والشكر، والتوكل، والزهد، واليقين، والإخلاص، وهم يظنون أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات، وهم منفكون عنها أنهم من أهلها؛ فهو يصف الدواء ولا يتناولوا؛ فهؤلاء يدعون إلى الله وهم هاربون منه؛ فهم أعظم الناس غرة .

قال: ومن هؤلاء من يعدل عن المنهاج الواجب في الوعظ إلى الشطح، وتلفيق كلام خارج عن قانون الشرع والعقل طلباً للأغراب، ومنهم من يستشهد بأشعار الوصال والفراق،وغرضهم أن يكثر الصياح مجالسهم والتواجد، ولو على أغراض فاسدة؛ فهؤلاء شياطين الإنس، وهذا وعظ الجهلة القصاص أشعار، وقصص وأحاديث موضوعة وغير ذلك ولذلك نحن نوعظ عن علم .

▪ومنهم فرقة استغرقوا أوقاتهم في سماع الحديث، وجمع رواياته، وأسانيده الغريبة والعالية؛ فهم أحدهم أن يدور البلاد،ويرى الشيوخ ليقول: أنا أروى عن فلان،ولقيت فلاناً،ولى من الإسناد ما ليس لغيري هذا يعني فتنة الإجازات وغير ذلك؛ إنما الأصل، والتحصيل، والإجازات لا شك فيه إنها يعني شهادة وغير ذلك، يعني لا حرج في طلبها، ولكن لا يكون هي أهم المهمات .

▪ومنهم فرقة اشتغلوا بعلم النحو، واللغة، والشعر، وزعموا أنهم علماء الأمة، وأذهبوا أعمارهم في دقائق النحو، واللغة، ولو عقلوا لعلموا أن مضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في معرفة لغة الترك، وإنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها .

لا شك أنه مطلوب في الجملة علم اللغة ولكن من باب الوسائل لا من الغايات، ومن باب الخادم ولا المخدوم .

فيكفى من اللغة على الغريبين: غريب القرآن،والحديث، ومن النحو ما يقوم به اللسان؛ فأما التعمق إلى درجات لا تتناهى؛ فذلك يشغل عما هو أجود منه وألزم.

ومثال التعمق في ذلك، مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن، مقتصراً على ذلك،وذلك غرور؛ لأن المقصود من الحروف المعاني؛ وإنما الحروف ظروف، وأدوات،ومن احتاج إلى شرب السكنجبين لإزالة الصفراء، فضيع عمره في تحسين القدح الذي يشرب فيه؛ فهو مغرور، والسعيد من أخذ من كل شئ من هذا حاجته المهمة لا غير.

"يبقى الاهم فالمهم "وتجاوز إلى العمل، واجتهد فيه وفى تصفيته من الشوائب، فهذا هو المقصود.

▪وفرقة أخرى عظم غرورهم، فوضعوا الحيل في دفع الحقوق، وظنوا أن ذلك ينفعهم، بل ذلك غرور،رد عليهم ابن القيم- رحمه الله في إعلام الموقعين وأيضاً ابن الجوزي في تلبيس إبليس؛ فإن الإنسان إذا ألجأ زوجته إلى أن تبرئه من حقها لم يبرأ فيما بينه، وبين الله تعالى، وكذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول لزوجته، واتهابه مالها لإسقاط الزكاة، ونحو ذلك من أنواع الحيل.

الصنف الثاني: أرباب التعبد والعمل، وهم فرق، وكل الذي فات العلم

فرقة أهملوا الفرائض، وانشغلوا بالنوافل، والفضائل، وربما تعمقوا في استعمال الماء حتى خرجوا إلى الوسوسة؛ فترى أحدهم لا يرضى بالماء المحكوم له بالطهارة شرعاً؛ بل يقدر له الاحتمالات البعيدة في التنجس، ولا يقدر ذلك في مطعمه؛ فلو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى المطعم لكان أشبه بسير السلف؛ فإن عمر- رضي الله عنه- توضأ من جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة، وكان مع هذا يدع أنواعاً من الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام.

✓التمييز يكون بالعلم، وقد صح عن النبي- صلي الله عليه وسلم- توضأ من مزادة؛ لأن نجاستهم معنوية.

👁قال: ثم منهم من يخرج إلى الإسراف في صب الماء، ويطول به الأمر حتى تضيع الصلاة ويخرج وقتها .

▪ ومنهم من غلبت عليه الوسوسة في تكبيرة الإحرام في الصلاة حتى ربما فاتته ركعة مع الإمام.

▪ ومنه ما يوسوس في إخراج الفاتحة، وسائر الأذكار من مخارجها؛ فلا يزال يحتاط في التشديدات، والفرق بين الضاد والظاء فوق الحاجة ونحو ذلك بحيث يهتم بذلك حتى لا يتفكر فيما سواه، ويذهل عن معنى القرآن والإتعاظ به؛ فإن هذا ايضاً التشدويد وغير ذلك من باب علوم الوسائل لا الغايات؛ وإنما الغايات التدبر، والتفاهم، والاستيعاب، والتفسير.

👁 قال: وهذا من أقبح أنواع الغرور، وإن الخلق لم يكلفوا من تحقيق مخارج الحروف في تلاوة القرآن إلا ما جرت به العادة في الكلام، ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى سلطان؛ فأخذ يؤدي الرسالة بالتأنق في مخارج الحروف وتكرارها، وهو غافل عن مقصود الرسالة، ومراعاة حرمة المجلس، فما أحراه بالطرد والتأديب.

✓ التمييز بين الوسائل والغايات، بين الفروع والأصول، بين الخادم والمخدوم؛ يكون بالعلم ثم بمخالفة الهوى .

ممكن يصادف هذه العلوم في النفس هوى، ولا يكون هي الأهم تكون مهمة بس مش هي الأهم؛ فينساق الإنسان وراء هواه، وينشغل بالمهمة عن الأهم، وبالمفضول عن الفاضل.

👁قال :وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن؛ فهم يهذونه هذّا، وربما ختموا في اليوم مرتين؛ فلسان أحدهم يجري به، وقلبه يتردد في أودية الأماني، ولا يتفكر في معاني القرآن، ولا يتعظ بمواعظه، ولا يقف عند أوامره ونواهيه؛ فهذا مغرور يظن أن المقصود من القرآن التلاوة فقط.

ومثال هذا مثال عبد كتب إلى مولاه كتاباً يأمره فيه، وينهاه؛ فلم يصرف عنايته إلى فهمه، والعمل به؛ بل اقتصر في حفظه وتكراره ظناً منه أن ذلك هو المراد منه مع مخالفته أمر مولاه ونهيه.

▪قال: ومنهم من يلتذ بصوته بالقرآن معرضاً عن معانيه.

طرب والمقامات ! فينبغي أن يتفقد قلبه؛ فيعرف هل تلذذه بالنبض، أو بالصوت، أو بالمعاني.

وفرقة أخرى اغتروا بالصوم، وأكثروا منه، وهم لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة، والفضول، ولا بطونهم من الحرام عند الإفطار، ولا خواطرهم عند الرياء.

▪ومنهم من اغتر بالحج؛ فيخرج إليه من غير خروجه عن المظالم، وقضاء الديون، واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط فرض الحج، ويضيعون في الطريق العبادة، والفرائض، ويعجزون عن طهارة الثوب، والبدن، ولا يحترزون من الرفث، والخصام، وهم مع ذلك يظنون أنهم على خير وهم مغرورون.

وفرقة أخرى أخذوا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ونسوا أنفسهم مستهلك تماماً في ما يسميه الدعوة، وهو بعيد تماماً عن الانصياع، وعن الامتثال وعن التطبيق.

▪ ومنهم من يؤم في مسجد ولو تقدم عليه أورع منه وأعلم ثقل عليه.

▪ ومنهم من يؤذن و ولو أذن غيره في غيبته اشتد عليه ذلك، وقال قد زاحمني في مرتبتي.

▪ومنهم من يجاور بمكة، أو المدينة، وقلبه متعلق ببلاده، وقول الناس فلان مجاور مكة، أو بالمدينة، ثم إنه يجاور ويطمع في أوساخ الناس، وقد يجمع ذلك ويشح به، ويجتمع له جملة من المهلكات صدقات الناس يأخذها، وما من عمل إلا وفيه آفات؛ فمن لم يعرفها وقع، ومن أراد تعرفها فلينظر في كتابنا هذا.

طبعاً كتاب " تلبيس إبليس" لابن الجوزي رحمه الله " إعلام الموقعين" " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " لابن القيم- رحمه الله - فينظر في آفات الرياء الحاصل في العبادات من الصوم، والصلاة، وفي جميع القربات في الأبواب المرتبة في هذا الكتاب؛ وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق.

👁 وفرقة أخرى زهدت في المال، وقنعت بالدون من اللباس والطعام، وقنعت من المسكن بالمساجد، وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد، وهم مع ذلك شديدي الرغبة في الرياسة، والجاه؛ فقد تركوا أهون الأمرين، وباءوا بأعظم المهلكين.

👁 قال: وفرقة أخرى حرصت على النوافل، ولم تعتني بالفرائض؛ فترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل، ولا يجد للفريضة لذة هذا اعوجاج حول في البصيرة !

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالي : ]وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه.]

✓ يبقى الفرائض ثم النوافل، استقامة الفرائض تؤدي إلى الاجتهاد في النوافل؛ أما الذي يجتهد في النوافل بدون الفرائض؛ فتجد هذا اعوجاج.

قال :ولا يحرص على المبادرة إليها في أول الوقت، وينسى قول رسول الله- صلي الله عليه وسلم فيما روي عن ربه- عز وجل - تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما افترضته عليهم.

👁 قال: الصنف الثالث المتصوفة، والمغرورون ومنهم فرقة منهم اغتروا بالزي، والنطق، والهيئة فشابهوا الصادقين من الصوفية في الظاهر، ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة، ثم هم يتكالبون على الحرام، والشبهات، وأموال السلاطين، ويمزق بعضهم أعراض بعض إذا اختلفوا في غرض وهؤلاء غرورهم ظاهر.

طبعاً انا بس عايز انبه؛ إن كلام ابن قدامة عن الصوفية الصادقين، أو ابن تيمية عن أهل السنة من الصوفية، وغير ذلك هذه طائفة كانت موجودة في القرون الأولى كادت أن تنقرض تماماً؛ بل هي

انقرضت في العصر الحاضر.

كل الصوفية الحاضرة الآن ما بين صوفية قبورية، أو مبتدعة عملياً فضلاً عن المبتدع عقدياً في بدع الحلول والإتحاد؛ هذا مصطلح الصوفية اصبح مرادف لهذا الان، أما قضية الصوفية من أهل السنة وغير ذلك السفيان الثوري، والفضيل ابن العياض، وسفيان بن عيينه، وكيع ابن الجراح ونحو ذلك؛ فهذا لم يصبح موجوداً الآن في الاستقامة على منهج أهل السنة، والجماعة في الاعتقاد والعبادات، ونبذ البدع كالجنيد، وأبو سلماء الداراني وعبد القادر الجيناني وغير ذلك؛ هذا الصنف نظرياً كان موجوداً، الآن غير موجود؛ لأن الصوفية أصبح مصطلح موهم الآن.

يقول لك هذا الصوفي معتدل، هذا الصوفي كذا!

لا الأمر ده في الحقيقة ليس على ظاهره هكذا، أنت تبين الآن المدلول، المعاصر، الواقعي الذي يردف اليهم، والذي يعني ينتمون إلى هذا المذهب، يجأرون به هم في الحقيقة تجدهم أشاعرة، تجدهم قبورية، تجدهم مبتدعة، تجد عندهم غلو في الصالحين، تجدهم عندهم مسألة الطرق البدعية، مسألة البدع العملية فضلاً عن البدع الاعتقادية من الحلول والاتحاد، والثناء على ابن حلاج، وابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، وجلال الدين الرومي وغير ذلك من الأمور؛ فلابد من التنويه على هذا الأمر.

قال: مثاله مثال عجوز سمعت أن الشجعان، والأبطال من المقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان، ويقطع كل واحد منهم قطراً من أقطار البلاد؛ فتاقت نفسها إلى ذلك فلبست درعاً، ووضعت على رأسها مغفراً، وتعلمت من رجس الأبطال أبياتاً، وتعلمت زيهم، وجميع شمائلهم ثم توجهت إلى العسكر؛ فكتبت اسمها في ديوان الشجعان وهي عجوز

إزاي هتحارب وهي عجوز؟! هذا أمر غريب! فلما حضرت ديوان العرض أمرت بتجديد المغفر، والدرع لينظر ما تحته، وتمتحن بالمبارزة؛ فلما جردت فإذا هي عجوز ضعيفة زمنت؛ فقيل لها جئت تستهزئين بالملك وآل حضرته خذوها وألقوها بين يدي الفيل؛ فالقيت إليه؛ فهكذا يكون حال

المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء هو بيتكلم على التصوف بمعنى الزهد، والاجتهاد في هذا، وعرضوا على الحاكم الأكبر الذي ينظر إلى القلب لا إلى المنقعات والزي.

قال: وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات، والأحوال، والوصول إلى القرب، ولا يعرفون من تلك الأمور إلا الأسماء؛ فترى أحدهم يرددها، ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين؛ فهو ينظر إلى الفقهاء، والمحدثين، وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى إن بعض العامة يلازمهم الأيام الكثيرة، ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة، ويرددها كانه يتكلم عن الوحي، ويحتقر في ذلك جميع العلماء والعباد، ويقول أنهم محجوبون عن الله، وأنه هو الواصل إلى الحق،

يعني من المعايير اللي تعرف بها أنت مغرور ولا لا؟

هل أنت تزدري أحدا من المسلمين؟

هل تنظر لنفسك نظر المعجب، أم تنكسر، وتفتقر كلما ازددت علماً؛ ازددت علماً بجهلك، وكلما شعرت بالتقصير، واجتهدت في العمل مع تجديد التوبة والمراقبة، والمحاسبة مع تقديم الأولويات حسب ما قدمها الشارع (الله ورسوله) مع الاستغفار من التفريط.

قال: وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار والمنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم علماً، ولم يهذب خلقاً، ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وحفظ الهذايل.

وفرقة منهم طووا بساط الشرع، ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام دول بقى الاباحية، ومنهم من يقول أن الله مستغن عن عملي؛ فلما اتعب نفسي ! وبعضهم يقول لا قدر للأعمال بالجوارح؛ وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله تعالى، حب من غير اتباع كذب وواصلة إلى معرفته؛ وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا، وقلوبنا عاصفة في الحضرة الربانية؛ فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب، ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام، واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال

البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها، ويرفعون أنفسهم عن درجة الأنبياء.

كفار نوعين؛ لأن الانبياء عليهم السلام كانوا يبكون على خطيئة واحدة سنين يقولون إن مقام الولي أرفع من مقام النبي بالاستدلال الباطل بقصة موسى والخضر، وأصناف غرور أهل الإباحة لا تحصى وكذلك؛ فكل ذلك أغاليط، ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم من غير اقتداء بشيخ صاحب علم ودين صالح للاقتداء به.

ومنهم فرقة أخرى جاوزوا هذه الطريق واشتغلوا بالمجاهدة، وابتدأوا بسلوك طريق، وانفتح لهم باب المعرفة؛ فلما استنشقوا مبادئ ريح المعرفة تعجبوا منها، وفرحوا بها، وأعجبهم غريبها؛ فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها، وكيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها عن غيرهم.

وقفوا عند البداية وكل ذلك غرور؛ لأن عجائب طريق الله تعالى ليس لها نهاية.

قال تعالى: { وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ} [ الشورى:٢٦]

ولا نهاية بفضل الله، ولو وقف مع كل اعجوبة، وتقيد بها قصرت خطاه، وجره الوصل إلى القصد، وكان مثاله مثال من قصد ملكاً؛ فرأى على بابه روضة فيها أزهار لم يكن رأى مثلها؛ فوقف ينظر إليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك.

الصنف الرابع :أرباب الأموال وهم فِرق .

ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد، والمدارس والرباطات، والقناطر وما يظهر للناس، ويكتبون أسماءهم عليها ليتجدد ذكرهم، المشكلة في الرياء ويبقى بعد الموت أثرهم، ولو كلف أحدهم أن ينفق دينارا، ولا يكتب اسمه في الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه.

✓إذن العبرة بعمل السر هنا عشان اتخلص من الغرور .

يريد وجه الناس لا وجه الله، ولولا أنه يريد وجه الله لا وجه الناس لما شق عليه ذلك؛ فإن الله سبحانه مطلع عليه سواء كتب اسمها،أو لم يكتبه، وبعضهم يصرف المال في زخرفة المسجد، وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها، وشاغلة للمصلين؛ لأن المقصود من الصلاة الخشوع، وحضور قلب، وذلك يفسد قلوب المصلين لجهله بقى يضع هذا الأمر في أمور منهي عنها.

▪ قال: فأما إن كان المال الذي صرفه في ذلك حراماً كان أشد في الغرور.

قال: ما لك ابن دينار أتى رجل مسجداً؛ فوقف على الباب، وقال مثلي يدخل بيت الله ! فكتب مكان يا صديقاً؛ فبهذا ينبغي أن تعظم المساجد يعني إن هو يستحضر تعظيم هذا المسجد، ويرى تقصيره في حق هذه النعمة؛ أنه يمثل في بيت من بيوت الله، ويعمر بيتاً من بيوت الله.

قال: وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسي جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام، أو زخرفة الدنيا فغرور هذا من حيث أنه يرى المنكر معروفاً، وهذا سببه الجهل.

وفرقة يحفظون الأموال ويمسكونها بخلاً، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا تحتاج إلى نفقة المال كالصيام، والصلاة، وختم القرآن، وهم مغرورون؛ لأن البخل مهلك، وقد استولى على قلوبهم؛ فهم محتاجون إلى قمع بإخراج المال، وقد اشتغلواعنه بفضائل لا تجب عليهم، ومثالهم مثال من دخلت في ثوبه حية؛ فاشتغل عنهم بطبخ السكنيجين لتسكن به الصفراء.

▪ومنهم من لا تسمح نفسه إلا بأداء الزكاة فقط.

فيخرج الرديء من المال.

طبعا البخل بالزكاة كبيرة من الكبائر مختلف فيها هل هي كفر أكبر أم أصغر، منهم بقى من يخرج الزكاة؛ ولكن يخرج الرديء، أو يعطي من الفقراء ما لا يخدمه، ويتردد في حاجاته أو ما يحتاج إليه في المستقبل، أو من له فيه غرض منهم من سلم ذلك.

إلى بعض الأكابر ليفرقه لينال بذلك عنده منزلة، ويقوم بحوائجه، وكل ذلك مفسد للنية، وصاحبه مغرور؛ فإنه يطلب عبادة الله تعالى عوضاًعن غير.

وفرقة أخرى من أرباب الأموال وغيرهم

اغتروا بحضور الذكر، وظنوا أن نفس الحضور يغنيهم عن العمل، والاتعاظ، وليس كذلك؛ لأن مجلس الذكر؛ إنما فضل لكونه مراغباً في الخير؛ فكل ما يراد لغيره إذا لم يوصل إلي ذلك الغير؛ فلا وقع له، وربما سمع أحدهم التخويف فلا يزيد على قوله يا سلام سلم يعني أن الله هو السلام، أو أعوذ بالله ويظن أنه قد أتى بالمقصود، ومثاله كمثل مريض يحضر الأطباء فيسمع ما يجري او الجاه يحضر عندما يصف له الأطعمة اللذيذة، ثم ينصرف؛ فلا يغني ذلك عنه؛ فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها فكل وعظ لم يغير منك صفة تتغير بها أفعالك؛ فهو حجة عليك؛ فإن قيل فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يكاد يخلص منه؛ فالجواب أن دار أمر الآخرة على معنى واحد وهو تقويم القلب.

وهو استحضار حاجتك الدائمة إلى تقويم القلب، ولا يعجز عن ذلك إلا من لم تصدق نيته؛ فإن الإنسان لو اهتم بأمر الآخرة كما يهتم بأمر الدنيا لنالها.

وقد فعل ذلك السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان

على التخلص من الغرور بثلاثة أشياء:-

أول حاجة العقل :وهو النور للأصل الذي يدرك به الإنسان حقائق الاشياء- حقائق الأشياء مش الأوهام، مش ثناء الناس، مش المدح، مش الشهرة

مش زيف الثناء" العقل"

- إن أنت تبقى عارف قيمتك.

- عارف قد إيه أنت مقصر

- عارف قد ايه أنت محدود في علمك

- قد ايه محدود في عبادتك

- قد ايه اللي أنت لو قارنت نفسك بالصحابة والتابعين وتابعيهم لفضحت إذا ذكر السلف افتضحنا، إذا ذكر أئمة الإسلام الائمة الأربعة، وشيخ الإسلام وغيرهم قد إيه إحنا مقصرين في العلم، والعمل، والدعوة

لا داعي للعوجان، لا داعي للتفاخر والتعاظم والتشبع بما لم نعط.

📎 تاني حاجة المعرفة:

التي يعرف بها الإنسان نفسه، وربه ودنياه، وآخرته

وفي كتاب المحبة، وشرح عجائب القلب، والتفكر، وكتاب الشكر اشارات إلى وصف النفس، ووصف جلال الله- تبارك وتعالي- وهذا سيأتي في باب أو ربع المنجيات، ويستعينوا على معرفة الدنيا والآخرة بما ذكر في كتاب "ذم الدنيا وذكر الموت" فإذا حصلت هذه المعارف صار من القلب لمعرفة الله تعالى، وحب الله وبمعرفة الآخرة حب الآخرة، وشدة الرغبة فيها

ومعرفة الدنيا شدة الرغبة عنها؛ فيصير أهم أموره إليه ما يوصله إلى الله تعالى، وينفعه في الآخرة، وإذا غلبت هذه الإرادة على قلب صحت نيته في الأمور كلها، واندفع عنه كل غرور، فإذا غلب حب الله تعالى على قلب لمعرفته به، وبنفسه احتاج إلى 📎 الأمر الثالث وهو العلم، ونعني به العلم بكيفية سلوك الطريق إلي الله تعالى وآفاته.

✓ يبقى خد بالك أنت الآن في الحقيقة هيحصل تخلية من الدنيا في القلب، يحصل تحلية بعد كده بالعلم .

والعلم ويقربه منه، ويهديه وجميع ذلك في كتابنا هذا.

فيعرف في ربع العبادات، والعادات ما هو محتاج إليه وما هو مستغن عنه، ويتأدب بآداب الشرع، ويعرف من ربع المهلكات جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى، وهي الصفات المذمومة في الخلق، ويعرف ربع المنجيات الصفات المحمودة بعد التخلية التحلية التي لابد أن توضع خلفاً من المذمومة بعد محوها.

✓ نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل

يبقى إذا أنت بعد أن تنزع الباطل لابد أن تشغلها بالحق، بعد أن تنزع سفاسف الأمور ما لا يعنيك أمراض القلب أفعال المعاصي لابد أن بالطاعات لابد أن تحليها بمعالي الأمور، لابد ان تحليها بما يعنيك.

قال: فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي اشرنا من الغرور والله أعلم. .

ملاك الأمر الانكسار، والافتقار، والمسكنة بين يدي الله عز وجل، واستشعارالتقصير في العلم، استشعار المحدودية في العلم، واستشعار التقصير في العمل، واستحضار أيضاً التقصير في عمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، استحضار التقصير، واستحضار الانكسار، والافتقار إلى رحمة الله- تبارك وتعالى- وإلى عفوه، ورأفته- تبارك وتعالى- هو ملاك النجاة من الغرور، وإذا فعل جميع ذلك ينبغي أن يكون خائفاً أن يخدعه الشيطان، ويدعوه إلى الرياسة، ويخاف عليه أيضاً من الأمن من مكر الله؛ ولذلك قيل " والمخلصون على خطر عظيم. "

وقال الإمام أحمد- رحمه الله - للشيطان عندما قال له عند الموت فتني يا أحمد

فقال: ليس بعد.

فلا ينبغي أن يفارق الخوف قلوب الأولياء أبدا، نسأل الله تعالى السلامة من الغرور، ونسأله حسن الخاتمة.

إنه قريب مجيب.

**آخر الغرور وبه تم ربع المهلكات.**